

## الضعف والإنسان

سمة إلحاح الرغبات فقط، بل النتيجة النهائية لمحصلة درجتى هاتين السمتين الأساسيتين مجتمعتين، فإذا كانت درجة سمة الإرادة محدودة، وسمة إلحاح الرغبات عالية، يظهر الضعف، وكلما اتسعت الفجوة بين درجتى السمتين، بدا الضعف أكثر وضوحاً، وغالباً ما يبدو هذا الضعف كسمة عامة فى هذا الشخص، فيظهر كسلوك عام وأسلوب متكرر فى مختلف مجالات حياته، وأحياناً يظهر فى مجال واحد دون غيره، ويتحدد هذا المجال تبعاً لخبرات الفرد، كما تعتمد على استعداده وتكوينه الطبيعي، فهناك من يهوى المقامرة ولا يستطيع أن يكبح جماح نزوته فى هذا المجال فقط، وهناك من يضعف أمام الشراب، وآخر تسيطر عليه رغباته الجنسية، وآخر يهوى الاقتناء أو الشراء، وغير هذا الكثير من النماذج التى يمتلك فيها الشخص رغبة ما، يشعر أمامها بضعفه وعجزه عن مقاومتها، دون أن يبدو عليه ضعف واضح فى مجال آخر.

● هناك نوع آخر من أنواع

الإنسانية، وتزيد من جاذبيته الاجتماعية، وتجعله أكثر قرباً وتأثيراً فى نفوس الآخرين. للضعف فى حياتنا الإنسانية أشكال متعددة، لكن يمكننا اختزالها إلى نوعين؛ ضعف داخلى وضعف خارجى.. الضعف الداخلى هو بين الإنسان وذاته، أحد أشكاله ناتج عن تفاعل سطوة نوازعه ورغباته عليها مع الدرجة التى تمثل قوة إرادته، فأحياناً تمتلك الإنسان رغبات قد لا تتواءم مع مبادئ هذا الإنسان وقيمه وعقيدته، أو أنها وإن كانت تمنحه سعادة مؤقتة ولكنها تحمل الضرر والشروع على المدى البعيد، فتغزو تلك الرغبات فكره بإلحاح، تسيطر عليه وتطالبه بسرعة إرضائها وحمية تنفيذها، هناك من يستجيب بدون مقاومة، وهناك من يستجيب بعد تردد، وهناك من يستجيب بعد صراع شديد، وهناك من لا يستجيب مهما كانت المغريات مؤثرة وأخاذة. إذن هناك أنماط متعددة لاستجابة فرد دون آخر، ولا تعتمد تلك الأنماط على درجة سمة الإرادة فقط، أو درجة

سمات الشخصية الضعيفة، وأن الإنسان حسن النية، الحساس، العاطفى، المطيع، المقدر للآخرين إنما هو إنسان ضعيف الشخصية. فى واقع الأمر ليست الأولى بقوة شخصية، ولا الأخيرة بضعف، إنما قوة الشخصية هو أن يكون عند الفرد شعور أكيد بأنه ممسك بزمام أموره فى يده، وأن له القدرة على توجيه حياته فى الاتجاه الذى يريده، أن يمتلك مبادئ وقيماً ثابتة وراسخة لا يحيد عنها، أن يكون متمسكاً صلباً فى مواجهة تقلبات الحياة، أن يكون حاسماً فى آرائه، حازماً فى قراراته، واضحاً فى مواقفه ما دام على يقين أنه على صواب، أن يكون واقعياً فى نظرتة، موضوعياً فى تفكيره وعادلاً فى حكمه، ولا يضير أن يستمع إلى نصح الآخرين إذا كان فى كلامهم ما يفيد، ولا عيب فى تبديل آرائه إذا اتضح له خطأ تفكيره، ولا غضاضة فى أن يكون ليناً رقيقاً، أو عاطفياً حساساً، أو أن يكون رحيماً متسامحاً أو بسيطاً متواضعاً، فتلك ملامح تضى على شخصية الفرد للسمات

من الأمور التى يختلف عليها الكثير من الناس، هو المفهوم لدى العامة عن قوة الشخصية وضعفها، ومدى ارتباطها بالضعف الإنسانى بوجه عام، فهل كل من يراه الناس قوى الشخصية هو بالفعل إنسان قوى؟ وفى المقابل هل كل من ينظر له على أنه ضعيف الشخصية، هو إنسان ضعيف؟ فكثير من الناس من يتهم بأنه ضعيف الشخصية وهو ليس كذلك؟ كما أن هناك من ينظر له على أنه قوى الشخصية وهو فى واقع الأمر هش ضعيف. فالبعض يرى أن قوة الشخصية فى الثبات على المواقف حتى وإن كان بتعنت وعناد، آخرون يرونها فى عدم التأثر بالآخرين أو فى عدم جفاء المشاعر وعدم التعبير عنها، البعض يراها فى عدم التنازل أو التسامح أو الاعتذار حتى وإن كان على خطأ، كما يراها البعض فى النزعة للتحكم والسيطرة، أو القدرة على إخضاع الآخرين.

فى المقابل يرى البعض أن البساطة واللين والتسامح من



د طارق درويش

استشاري الطب النفسي

بضعفه، مشاعر القلق التي تتملكه في مواجهة رؤسائه إلى أنماط سلوكية متعددة. أحيانا تكون محاولة تجنب كامل، أحيانا أخرى تأخذ شكل توتر وقلق وارتيابك، أحيانا تكون طاعة كاملة وعمياء، وكثيرا ما تكون تملقا ومداهنة ونفاقا، ومحاولة إرضاء المرؤوس بشتى الوسائل.

ويأتى كل نمط من تلك الأنماط تبعا لطبيعة كل فرد وسمات شخصيته، فعزيز النفس يفضل تجنب أى موقف يشعر فيه أنه الطرف الأضعف، وبالتالي يعتمد تلقائياً إلى تقليص لقاءاته مع رؤسائه إلى الحد الأدنى حسب ما تمليه احتياجات العمل، أما هؤلاء الذين تتدنّى عندهم عتبة القلق فهؤلاء بطبيعتهم قلقون خائفون، لا يشعرون بالأمان إلا فى كنف رؤسائهم، يصبح شغلهم الشاغل هو رضا هؤلاء عنهم، ويسعون بشتى الوسائل للتقرب منهم، ويقدر ما يشعر الفرد من قلق، بقدر ما يبذل من جهد لتحقيق تلك الغاية، كل بأسلوبه، فإذا كانت عتبة القلق شديدة التدنى،

وكانت مصحوبة بتساؤل فى سمة الضمير، التي تعبر عن مدى التزام الفرد وتمسكه بمبادئه، تصبح هناك طاعة عمياء حتى وإن كانت على حساب معتقدات هذا الفرد وقيمه ومثله ومبادئه، وهؤلاء يتم استغلالهم بكثرة من جانب رؤسائهم إما فى الأمور التي تختص بالعمل أو خارجه، وأحيانا يُستخدمون لتمرير بعض الأمور التي قد يكون فيها خرق ما للقوانين والمبادئ المتعارف عليها، وغالبا ما يكون لهذا الرئيس نصيب الأسد فيما يحصلون

أمام هذا كله يقف الإنسان حائراً عاجزاً، وكل من يدعى القوة، أو تسييه قوته العابرة تلك الأمور، عليه أن يدرك - ولعله يدرك فى قرارة نفسه ولكنه يتناسى- أن دوام الحال من المحال، وأن يوم الضعف أت مهمما طالت به السنون.

نأتى أخيراً إلى ضعف الإنسان فى مواجهة أخيه الإنسان، وهو له أشكال عدة، فالتكوين الطبيعى للبشر يحتم أن يكون هناك شخص قوى وآخر أكثر ضعفاً، هناك من يملك الكثير من الموارد وهناك من يملك أكثر، وهناك من لا يملك وهناك المعدم تماماً، كما أن الهيكل الاجتماعى للمجتمعات المختلفة مهما كان حجمها أو تعدادها أو اتجاهاتها، وفى أى حقبة تاريخية كانت، تقوم على أساس طبقي، طبقات اجتماعية الواحدة فوق الأخرى، فيها ملوك وأتباع، فيها أغنياء وفقراء وفيها أسياد وعبيد، يشعر فيها التابع بضالته فى مواجهة الملك، والفقير باحتياجه للغنى، والعبد بالخنوع لسيده.

أيضا السلم الوظيفى والإدارى، قائم على أساس أن هناك من يحكم، هناك من يقود وهناك من يقاد، وكل من يقود هناك من يقوده، ويملك فى يديه بشكل أو بآخر مستقبل من يقوده ومصيره وربما يكون هذا مثالا جيدا لمناقشته بشكل أوسع، لما له من مظاهر واضحة نراها ونلمسها وربما يعيشها الكثير منا عن كذب فى حياته اليومية، فهناك نماذج كثيرة تعبر عن ضعف الإنسان فى مواجهة من هم أعلى منه فى السلم الوظيفى، حيث تتم ترجمة شعور الأول

السمات مجتمعة هى التي تحدد درجة العتبة التي من الممكن أن ينكسر عندها.

● أما العوامل الخارجية التي تمثل الضعف الإنسانى فى كثيرة متعددة، فهناك ضعف الإنسان فى مواجهة الأمور القدرية بأشكالها التي لا حصر لها التي تصيبه بشكل مفاجئ، وعجزه حين يصيبه المرض، واستسلامه حين تغدر به الطبيعة، وقهره حين يقسو عليه أخوه الإنسان، حتى التطور الطبيعى للزمن والمنحنى الذي يمثل ضعف الإنسان فى مقابل التقدم فى العمر أحد الرموز التي تؤكد حتمية ضعفه.

● ضربات القدر ومدى تأثيرها واضحة لا تخفى على أحد، فكم من الناس تبدلت أحوالهم بين ليلة وضحاها، كم عبثت الأقدار بمصائر البشر، فعظيم الأمل ذليل اليوم، وفقير الأمل غنى اليوم، يرتفع شأن البعض فى لحظات، ويهوى شأن آخرين فى رجفة عين، ولا يملك الإنسان مهما بلغ من قوة أمام إرادة القدر إلا التسليم والاستسلام.

● أما المرض فهو عدو الإنسان العنيد، يصيبه بغير استئذان، ويرديه بلا رحمة، فهناك من الناس من يظن أنه امتلك الأرض وما عليها، تصبح فى لحظات أقصى أمانيه مجرد رشفة دواء أو نسمة هواء تأبى أن تسرى إلى صدره.

● أما الزمن، هذا التيار الأعمى، الماضى فى طريقه منذ بدأ الخليقة وحتى زوالها فى رتابه وثبات، يأخذ الإنسان من مهده ويرتفع به ليبلغ أقصى قوته ثم يعود به إلى ضعف ثم إلى وهن ثم إلى فناء.

الضعف الداخلى، التي يمتلها عتبه تحمل كل فرد، وإلى أى مدى هو قادر على التماسك فى مواجهة الضغوط المختلفة، فكل منا له قيم خاصة، ومبادئ نشأ عليها وأخلاقيات واضحة محددة، حين يتعرض الإنسان لضغوط ما- وهي كثيرة فى عصرنا الحديث- يبدأ فى التنازل عن تلك المبادئ الواحد تلو الآخر، حسب مدى قوة تلك الضغوط، وأيضا مدى ثباته أو درجة الضعف فيه، والخبراء فى الهيئات التي من شأنها حفظ الأمن الداخلى لبعض الدول التي تلجأ لفهر شعوبها، تدرك تماما أن لكل إنسان على هذه الأرض عتبه ينكسر عندها، نقطة معينة عند الوصول إليها سواء بثواب أو بعقاب تنهاى قدراته ويعجز عن المقاومة، ويستسلم فى خنوع لما يفرض عليه مهما كان مخالفا لقيمه ومبادئه، فهناك من يعلن استسلامه أمام أقل إغراء بالمال أو النساء أو غيره، فيتنازل عن كل ما يملك من مبادئ، وهناك فى المقابل من يقاوم ولا يستسلم، ويتحمل فى سبيل الحفاظ على قيمه ومبادئه أقصى درجات الألم والمعاناة، وهو صامد صلب، لا يضعف ولا يلين، بين هذا وذاك يتدرج البشر، فالجميع لديه نقطة معينة تنهاى عندها طاقاته، وتختلف من إنسان لآخر، والذي يجدد موقع كل إنسان على هذا السلم الممتد مجموعة من السمات الأساسية الأصلية، التي تتفاعل مع بعضها البعض لتعطى فى النهاية درجة تحمل الفرد فى مثل تلك المواقف، أهمها عتبه الخوف، عتبه الإحباط، الضمير، الإرادة، ودرجة التصلب الفكرى لديه، ومجموع درجات تلك



# مركز التدريب ATC وتنمية المهارات

## بمستشفى

## د. جمال ماضى أبو العزائم

## دورات تدريبية

١ - مدرسة الإدمان

٢ - الأخصائى النفسى الأكلينيكى

٣ - فن التعامل مع الأطفال

٤ - فن التعامل مع المراهقين

٥ - فن العلاقات الزوجية الناجحة

٦ - السمنة والعلاج النفسى

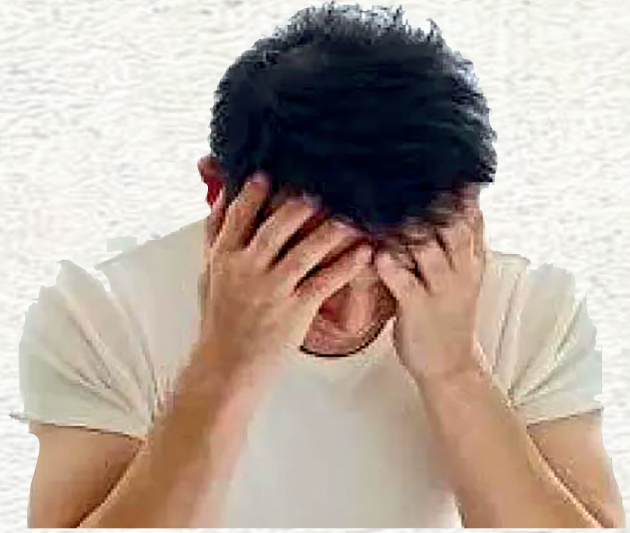
٧ - كيف تحدد مستقبلك وتختار كليتك

٨ - كيف تقلع عن التدخين

٩ - أخصائى علم النفس العصبى

للحجز والاستعلام :

01111660232



المذكورة سابقاً لتعطى عدداً ضخماً للغاية من الأنماط السلوكية التى نراها يومياً فى تعامل فرد ما مع آخر يعلوه فى السلم الوظيفي.

إذن هناك سلسلة متصلة من تدرج الضعف فى مجالات حياتنا المختلفة، تبدأ من الأقل إلى الأكثر، من الأضعف إلى الأقوى فى تسلسل قد يبدو لا نهائياً أحياناً، بحيث نرى الصور التى عليها البشر الآن، أن لكل إنسان مهما كانت قوته، هناك من هو أقوى منه جسدياً، أغنى منه مادياً، أرقى منه اجتماعياً، وأعلى منه وظيفياً وإدارياً، وليس فى هذا شيء جديد أو غريب، بل هو واقع الحياة التى نعيشها، وليس بالضرورة أن تبدو مظاهر الضعف على كل من هو فى المستوى الأدنى من هذا التسلسل، خاصة إذا كان التعامل بين الناس قائماً على مبادئ من النضج والتحضر ونقاء السريرة والاحترام المتبادل، ولكن إذا كانت القيم التى تحكم أسلوب التعامل بين الناس عكس ذلك، تحدث المواجهة ويصبح الأمر مختلفاً، فى هذا السياق نجد كثيراً من الكلمات تتداولها فيما بيننا فى حياتنا اليومية، كالظلم، القهر، الامتهان، الإذلال، وغيرها من الكلمات التى تشير فى مجملها إلى أن هناك خللاً ما فى علاقة بين طرفين أحدهما يملك وآخر لا يملك، أحدهما يسيطر وآخر عاجز، أحدهما قوى وآخر ضعيف.

عليه، ولا يتبقى للأخر الإرضاء رئيسه عنه، أما إذا كانت مصحوبة بتدن فى سمة الصدق التى تتمثل فى قدرة الفرد على المراوغة ومداراة مشاعره الحقيقية، والاستعداد الفطرى لأن يظهر غير ما يبطن، يصبح لديه ميل تلقائى للرياء والتناق، خاصة إذا كان هناك أيضاً تدن فى سمة الحساسية للكرامة.. هناك سمة أخرى ذات علاقة وثيقة بهذا النمط من السلوك، وهى سمة الموضوعية، حيث يؤدى القلق بالبعض إلى خلل فى تقييمهم الموضوعى للأمور، فتأخذ المشاكل البسيطة أحياناً أكبر كثيراً من حقيقتها، يصبح بالتالى لديهم توقع غير منطقى أسوأ كثيراً مما يمكن بالفعل أن يحدث لتبعات سلوكهم، إذا لم يلبّ أحدهم رغبة بسيطة لرئيسه لعدم فتاعة، وتصور خاطئ للعواقب، إذا تمسك بمبدأ له، أو ل مجرد أنه لم يقدم له فروض الولاء والطاعة، وهذا يزيد خوفهم ويعمق استسلامهم ويؤدى إلى تضخيم حاد لهذا النمط السلبي من سلوكهم.

هناك بعض السمات الأساسية الأخرى ذات صلة بهذا الموضوع، منها مدى التصلب أو الليونة الفكرية، الأنانية، حسن النوايا أو سوءها، الحنكة والمهارة والذكاء سواء فى السلوك السلبي أو الإيجابى، وتتفاعل الدرجات المختلفة لتلك السمات، كما تتمازج مع السمات الأخرى